زاراتوسترا

وهو ابلغ كتب الفيلسوف نيبتش الالماني واجملها

كتبه باسلوب رواية جعل بطلهـا (زارا توسترا) الهائل .

✻ منزلة زارا توسترا ✻ شرعنا في الجزء السابق في تعريب هذا الكتاب وقد وقفنا على وصف له ورأينا من الفائدة نقله . قال المسيو هنري البيران الحنق الذي اصاب نيبتش

الفيلسوف فردريك نيبتش

وقد نشرنا ترجمته وبسطنا فلسفته في جزء آخر

انما اصابه بعد كتابته زارا توسترا لعدم التفات العلماء اليه تعميداً . ومن اقواله في هذا الشأن (منذ كتابتي زارا توسترا اصبحت كوحش جرح جرحاً لا يشفى) وقال في موضع آخر (ان السنين التي كتبتُ فيها زارا توسترا كانت سني عذاب لي لا مثيل له . ولقد دفعت ثمناً عظيماً لهذا الخلود) ثم قال في موضع آخر ويرى القارىء في كلامه انه يتكلم عن كتابه دون حذر ولا اتضاع . ذلك لانه كان في آخر عمره محساً بدنو اجله :

(ذلك الكتاب في عزلة عن جميع الكتب . واذا جعلنا مقارنة بينه وبين سائر اعمال البشر وجدناها جميعها دونه . ان جوت وشكسبير لا يستطيعان ان يستنشقا هنيهة هواء ذلك الجوّ الذي يعيش فيه زارا توسترا لان اهواءه شديدة وارتفاعه ارتفاعاً متناهياً يُحدث الدوار . ودانتي ليس بالقياس على زارا توسترا الا مؤمناً وليس هو برجل يخلق او يقرر الحقيقة او عقل (يسود على الدنيا) او قضاء وقدر لا بد من نزوله كما هو شأن زارا توسترا . وما شعراء الفيدا الا كهان ليسوا باهل لان يحلوا سيور حذاء زارا توسترا . ولتجتمع قوى جميع النفوس العالية وتكتب فهي عاجزة من ان تأتي بخطبة كاحدى خطب زارا توسترا . لقد خطا زارا توسترا الى الامام واوغل في السير فوصل الى حيث لم يصل رجل في العالم قبله . وان جميع فضائل الطبيعة البشرية ورذائلها تجري من فمه جرياناً خالداً . ولم تكن قبله معروفة ماهية الحقيقة وما هو سمو الفكر وعمقه . وقبل زارا توسترا لم توجد حكمة حقيقية ولا مباحث في النفس ولا صناعة الكتابة والخطابة . وما هو حقير مبتذل يصبح في فمه غريباً عجيباً . وان الاحكام التي يحكم بها ترتعد بذاتها هوى وشدة . وبلاغته تفعل فعل الموسيقى . وصواعقه تنقضُّ نحو مستقبل لم يفطن اليه احد بعد)

ونعود الآن الى اتمام تعريب الكتاب

٣

«ولما بلغ زارا توسترا المدينة القريبة من الحرش وجد الشعب مجتمعاً في الساحة العمومية ذلك لانهم سمعوا بان لاعباً على الحبل سيلعب في تلك الساحة . فوقف زارا توسترا وخاطب الشعب قائلاً

— جئتُ اعلمكم ما هو فوق الانسان Surhumain ان الانسان كائن يجب ان يتغلب على نفسه ويترقى ليكون (فوق الانسان) فاذا فعلتم في هذا السبيل

ان جميع الكائنات قد انتجت حتى الآن شيئاً منها ممتازاً عنها وهو (فوقها) . وانتم لم تنتجوا شيئاً فوقكم بل تودون الرجوع الى الحيوانية بدل الصعود نحو الانسانية الحقيقية

ان الانسان يهزأ بالقرد . والانسان الحاضر انما هو في منزلة القرد بالقياس على الانسان الحقيقي الذي يجب ان يكون (فوق الانسان)

لقد اجتزتم الطريق من الدودة الى البشرية . ولكنه بقي فيكم شيء كثير من آثار الدود . لقد كنتم قردة من قبل وانتم الآن اشد قردية من القردة

فانا الآن اعلمكم ما هو (فوق الانسان) وهو (حاسة الارض)

فالتمس اليكم يا اخواني ان (تكونوا امناء للارض) . لا تصدقوا اولئك الذين يمنونكم بامان غير ارضية . ان هؤلاء يسممونكم وهم لا يدرون او يدرون

ان هؤلاء من هادمي الحياة والمرضى والذين هم انفسهم مسمومون . بل هم ممن تعبت الارض منهم. فليذهبوا عنا

لقد مات المجدفون على الله اذ لم تبق حاجة الى هذا التجديف . وليس الآن اشد هولاً من التجديف على الارض واعتبار ان احترام المبدأ المجهول مقدم على احترامها

لقد كانت النفس من قبل تحتقر البدن وتريده ضعيفاً مشوهاً مجوعاً لظنها انها بذلك تتفلت من حس الارض . ولكن هذه النفس نفسها كانت ضعيفة مشوهة مجوّعة . واخبروني الآن يا اخواني كيف هي نفسكم . اليست قذارة وضعفاً وفخراً بالذات

ولما نطق زارا توسترا بهذا الكلام صرخ احد الحاضرين (كفانا نسمع كلاماً عن اللاعب على الحبل ونريد الآن ان نراه يلعب) ثم اخذ الشعب يضحك من زارا توسترا . ولكن اللاعب على الحبل ظن انهم يدعونه فاستعدّ للعب

٤

اما زارا توسترا فنظر الى الشعب مدهوشاً ثم قال : ان الانسان حبل ممدود بين الحيوان والانسان الذي هو (فوق الانسان) . هو حبل ممدود فوق الهاوية

ومن الخطر اجتياز الحبل الى الطرف الآخر كما انه من الخطر الوقوف في منتصف الطريق ومن الخطر النظر الى الوراء

والامر العظيم في الانسان هو كونه (جسراً) لاغاية . وما يمكن ان يُحب في الانسان هو كونه (معبراً)

وانني احب من لا يحسن المعيشة فيفنى . ذلك لانه يجتاز المعبر بسهولة

٥

ثم سكت زارا توسترا ونظر الى الشعب . وبعد ذلك اخذ يخاطب نفسه قائلاً : أراهم

يضحكون فهم لا يفهمون كلامي . وان في لم يخلق لهذه الآذان

لديهم شيء يفخرون به و يدعونه (مدنية) ذلك لانه يميزهم عن الماشية. ولهذا يكرهون استماع كلمة الاحتقار . فعليّ اذاً ان اخاطب كبرياءهم لعلي استميلهم . فلنخاطبهم في شأن (الانسان الاخير) الذي هو اولى بالاحتقار من كل من عداه (١) ثم طفق يخاطب الشعب قائلاً

— لقد آن للانسان ان يوجد لنفسه غاية . و يغرس امامه شجرة آماله

وانا اقول لكم . يجب ان يكون داخل الانسان فوضى ليستطيع ان يخرج نجماً ساطعاً للعالم . وفي احشائكم فوضى لا محالة

ولكن يا للويل ستدنو الساعة التي لا يستطيع فيها الانسان ان يخرج نجماً للعالم . يا للويل قد دنت ساعة ذاك الذي هو احق الناس بالاحتقار وادعوه (الانسان الاخير)

فتصبح الارض حينئذ صغيرة و يرقص عليها الانسان الاخير الذي يصغر كل شيء . ونسله لا ينقرض لانه كثير كالهوام . وهو اطول الكائنات اعماراً

يقول رجال الانسان الاخير انهم (اوجدوا السعادة) ويغمزون بعيونهم . وهم ما زالوا يعملون لان العمل تسلية ولكنهم يحرصون على ملاهيهم . يقولون لا فقير ولا غني . والفقر والغنى امران صعبان . ومن يرضى بان يكون حاكماً والحالة هذه ام من يرضى ان يكون محكوماً مطيعاً ؟ الحكومة والطاعة امران صعبان

يقولون لا راعي ولا خراف بل الجميع متساوون وكلهم يطلبون شيئاً واحداً . ومن كان لا يعتقد اعتقادهم يذهب من تلقاء نفسه الى مستشفى المجاذيب . وهم يقولون : قد كان جميع الناس من قبل مجاذيب . ونحن اخترعنا السعادة (٢)

وهنا انتهت اولى خطب زاراتوسترا وهي الخطبة التي يصح ان تُدعى (تمهيداً) . وما انى عليها زاراتوسترا حتى ارتفع صياح الشعب قائلين (اجعلنا من رجال الانسان الاخير زاراتوسترا واعفنا من الانسان الذي هو فوق الانسان) وكانوا جميعاً يصرخون هذا الصراخ . فحزن زاراتوسترا وقال في نفسه — انهم لا يفهمون كلامي وفي لم يخلق لهذه

---

(١) نرجح انه يعني بالانسان الاخير (المبداء الاشتراكي) الذي هو آخر المبادىء التي سادت بين العملة في العالم

(٢) لنيتشه حملات شديدة في عدة من كتبه على الاشتراكية والاشتراكيين . ولذلك قالت جريدة الديبا ان رد الفعل الذي حصل في اوربا في شأن الاشتراكية انما سببه مبادىء نيتشه

الآذان . ولقد عشت زمناً طويلاً في الجبال وتعودت الاصغاء الى الجداول والاشجار ونسمات المساء . ولكنني لم اتعود مخاطبة قطيع الماعز

٦

وهنا حدث حادث اسكت الجميع . ذلك لان اللاعبين على الحبل تهيأوا للعب . فخرج احدهم من نافذة واخذ يسير على الحبل المنصوب فوق رؤوس الناس في الساحة العمومية وبين يديه عمود للموازنة . ولما بلغ منتصف الحبل فتحت تلك النافذة ثانية وخرج منها شاب ذو هيئة مضحكة فاقتفى اثر الرجل الاول على الحبل ولما كاد يدركه صاح به (سر ايها الاعرج الكسول . حد من طريقي والاّ داعبتك بقدمي . ماتفعل هنا . سر ولا تقف في طريق من هو افضل منك)

ولما اتمّ كلامه كان قد اصبح عند الرجل الذي تقدمه . فحدث حينئذ حادث هائل وهو ان الرجل الثاني صاح صيحة شيطانية ووثب عن الحبل فوق الرجل الاول الذي كان يعترضهُ في طريقه فجاوزه وجاء واقفاً على الحبل في الجهة الاخرى . ولكن الرجل الاول كان قد فقد رشده لهذه الوثبة وفقد عمود الموازنة فهوى مع العمود من الحبل الى الارض وكان الناس في الساحة كالبحر العجاج فلما رأوا سقوط الرجل عليهم ذعروا وفروا في الجهات الاربع على ان زاراتوسترا لم يبرح مكانه . وقد كان سقوط الرجل بجانبه . وكان جسم الرجل قد تحطم عند اصابته الارض . فبعد حين ثاب اليه رشده فوجد زاراتوسترا جاثياً بجانبه فقال له (ماتفعل هنا . انني كنت عالماً منذ زمن بان ابليس سيزحلقني . فقد تمّ لهُ ما اراد وهو الان سيجرني الى جهنم . هل في امكانك منعه)

فقال زارا توسترا (اقسم لك بشرفي انه لا ابليس ولا جهنم . فلا تخف شيئاً)

فرفع الرجل رأسه وقال اذا كان حقاً ما تقول فانني لا اخشى شيئاً ولا اخسر شيئاً اذا خسرت الحياة . لانني ما كنت فيها الا حيواناً يجعلونه يرقص بالضرب وبشيء من الغذاء

فقال زارا توسترا (كلا . بل انت ذو فضل لانك جعلت الخطر مهنة لك ولا شيء يستأهل الاحتقار . وقد اهلكتك مهنتك ولذلك سأدفنك بيدي . (١)

---

(١) كل هذه التفاصيل رموز خفية . فالمقصود باللاعب على الحبل وفي يده عمود الموازنة الفلاسفة والعلماء الذين تقدموا نيتش وكانوا في ما يكتبونه يشبهون الماشي على الحبل اذ يجعلون ديدنهم الحذر والرغبة في الموازنة لئلا يصدموا المبادىء او يسيئوا الى احد. حتى جاء نيتش ووثب فوقهم جميعاً فسقطوا لدى المستقبل في رأيه